# فلسفة اللغة

أوزفالد دوكرو

ترجمة سعيد بو عيطة

إن عبارة – فلسفة اللغة –، قد تأخذ معنيين أساسيين: يرتبط الأول بفلسفة حول اللغة، حيث تتم دراستها على المستوى الخارجي. في هذا الإطار، تعتبر اللغة موضوعاً معروفاً من قبل. ويتم البحث في علائقه مع موضوعات أخرى، مختلفة عنه. مثل: علاقة اللغة بالفكر (البحث عن أيهما أسبق؟ وكيف يتفاعلان؟). لقد حاول تيار مثالي/ Idéaliste في الفلسفة الفرنسية، في

بداية القرن العشرين؛ تبيان كون تبلور المعنى في كلمات ثابتة. هو أحد أسباب الوهم الجوهري والاعتقاد بوجود أشياء معطاة وحالات ثابتة.

ثمة سؤال آخر، طالما تناولته الفلسفة الألمانية في القرن التاسع عشر، يتعلق بدور اللغة في تاريخ البشرية. لقد ذهب علماء اللسانيات المقارنة، إلى أن اللغة تعرف نوعاً من التحول مع مرور الزمن. بعض الفلاسفة مثل هيغل/ Hegel، أو لسانيون هيغليون (نسبة إلى هيغل)؛ مثل شليشر/ A.Schleicher، حاولوا تفسير هذه الواقعة بتأكيدهم على أن الإنسان التاريخي يميل إلى تبني موقف المستعمل تجاه اللغة. إن هذه الأخيرة، تمنحه إمكانية مزدوجة للتأثير على الآخر؛ ولاستمرار تذكره لهذا التأثير. إنها الإمكانية التي يتأسس عليها التاريخ نفسه. إن الإنسان لم يهتم باللغة لصالحه، إلا في المرحلة الأولى من التاريخ البشري.

ثمة موقف آخر، ممكن بالنسبة للفيلسوف المهتم باللغة. يكمن في إخضاع هذه الأخيرة لدراسة داخلية. فتكون هي نفسها موضوع البحث. ومنذ بدايتها الأولى، اتجهت الفلسفة إلى هذا النمط من الدراسة. حيث تقدم نفسها باعتبارها تفكيراً. وإذا كانت المقاربة الفلسفية

لمشـــكلة مـــا، ليست سوى توضيح المفاهيم التي تتضمنها صياغة المعضلة. فإنها مفاهيم غالباً ما تمثلها كلمات اللغة اليوميـــة. مما يجعل الفيلسوف مضطراً إلى القيام بتحليل لغوي لمعنى الكلمة.

إن مقدمـــــة حـــــوار – لاشـــــيس –/ Lachès، لأفلاطون؛ دالة. حيث يتناقش شخصان، حول معرفة هل المـــبارزة تقـــود إلى الشجاعة. يتدخل سقراط في الوقت نفسه، ويعطي للمسألة بعداً فلسفياً. لكن يحول هذا الأخير إلى مشكلة لغوية: ما معنى كلمة شجاعة؟. يتم البحث عن الدلالة العامة التي يمكن أن نستنتج منها كل الاستعمالات الخاصة لكلمة شجاعة. إلا أن البحث اللغوي في حوارات أفلاطـــون، لا يؤدي إلا إلى التناقض. والوصول إلى فهم مباشـــر وحدسي (إنه الفهم الذي لا يحدث سوى في بعض الحوارات المرسومة بالحوارات – المكتملة).

لقـــد تمت ممارسة التحليل اللغوي، الذي يحضر في كل فلسفة نظرية ، بشكل نسقي/ Systématique؛ عند أغـــلب الفلاســـفة الإنجـــليز في النصف الأول من القرن العشـــرين. هؤلاء يُنعتون بفلاسفة اللغة ويسمون أعمالهم بالفلســـفة التحليـــلية. واعتـــبروا التحليل اللغوي، الدراسة

الفلسفية المشروعة والوحيدة. حيث دعموا، ذلك؛ من خلال تطويرهم لبعض أفكار المناطقة الوضعيين الجدد. مثل: كارناب/ R. Carnap، واستلهامهم لأعمال: مور/ E.G. Moore، وراسل/ B. Russell، وفنجنشتاين/ L. Wittgenstein. يعمد خاصة إلى فكرة أن أكبر جزء من الفلسفة المكتوبة، ليس مغلوطاً فقط، بل عديم المعنى. ولا يأخذ عمقه الظاهري إلا من الاستعمال السيء للغة العامة. وهكذا ستختفي – المشكلات الفلسفية – المزعومة بمجرد ما سيتم إخضاع ألفاظها للتحليل. وستبدو نقاشات فلسفة الأخلاق بدون موضوع، بمجرد ما سيتم توضيح المعنى الذي تأخذه في اللغة العامة كلمات مثل – حسن – سيء – و – وجوب – و – تقييم –، إلخ...

إنطلاقاً من هذا الموقف المشترك، تبرز اختلافات حول قيمة اللغة داخل هذه المدرسة. يرى البعض بأن أخطاء الفلاسفة، تعود إلى هشاشة في اللغة التي انتقلت إلى البحث الفلسفي دون تمحيص نقدي. وتعود كذلك، إلى كون اللغة العامة؛ رديئة التأليف. الشيء الذي لم ينتبه إليه الفلاسفة.

مثل ملك لويس كارول/ Lewis Caroll، الذي

يعتبر "Nobody"– لا أحد –؛ اسماً لذات خاصة. لأن هذه الكلمة في النحو الإنجليزي، هي من نفس طبيعة كلمة – Somebody – أحد.

هكذا سيظل الفلاسفة يستنبطون من التشابه الصرفي للفظتين تشابههما الدلالي. واعتقدوا أن الجودة، خاصية للموضوعات أو للأفعال بحجة أنه يقال: – هذا كتاب جيد – كما يقال – هذا كتاب أحمر –. كما أنهم لم يلاحظوا – على حد تعبير راسل أن ملفوظ/ Énoncé – ملك فرنسا أصلع –، يعبر عن حكم وجودي (يوجد شخص هو ملك فرنسا وهو – أصلع –.) وذلك لانخداعهم بالشكل النحوي لهذا الملفوظ. الذي يشبه الجمل المؤلفة من موضوع ومحمول. مثل:– هذا أزرق–. لقد تمثل رواد هذه المدرسة الإنجليزية، التحليل اللغوي باعتباره نقد أولاً. واتهموا اللغة بأنها أفسدت الفلسفة. وخلصوا أحياناً إلى ضرورة إعادة بناء اللغة منطقياً.

في حين نجد عكس ذلك عند رواد مدرسة أوكسفورد التحليلية / Lécole d'oxford. الذين ينعتُون بفلاسفة اللغة العامة. إذ لم يهتموا باللغة، بل بالطريقة التي يستعملها الفلاسفة. قد تولد المشاكل الفلسفية عند

استعمال الكلمات العامة في غير محلها (نوع من النزعة الكانطية اللغوية. يرى كانط/ Kant، أن التناقضات الفلسفية، تعود إلى استعمال مقولات الفكر خارج شروطها التي وحدها تعطيها معناها الموضوعي). تتمثل الأطروحة المركزية لمدرسة اكسفورد بالشعار التالي: المعنى هو الاستعمال/ Meaning is use. هكذا، فإن وصف معنى كلمة معينة، يعني إعطاء وجه استعمالها. وتحديد عقود اللغة التي تؤديها. إن القيمة الأساسية لصفة – حسن –، تتجلى في إبرازها لعقد لغوي خاص هو التوجيه.

إن القول – هذا حسن – = القول – أوجهك إلى هذا. –. وهنا يكمن خطأ الفلسفة التقليدية في إعطائها وظائف غير التي تعطيها لها اللغة العامة (مثل استعمال – هذا حسن – باعتباره وصفاً لموضوع). لذلك، لا ينبغي القول أن اللغة غير منطقية. إنها ذات منطق خاص، يقترب من منطق الفعل، أكثر من المنطق الرياضي/ Mathématique. على الرغم من أن الفلاسفة، لم يعملوا على تمييزه. مما جعل مدرسة اكسفورد تنقسم إلى: قسمين/ من جهة التصنيف الدقيق لمختلف الاستعمالات الممكنة للغة. ومن جهة أخرى تحديد أنماط الاستعمال الخاصة بالعبارات الخاصة للغة أو لأخرى.

يميـــز أغـــلب فلاسفة مدرسة اكسفورد التحليلية، مقاربتهم عن الدراسة اللسانية الخالصة. وبالمقابل لا يبدو لـــدى أغلب اللسانيين، حتى وقت قريب؛ اهتمام بدراسات عيـــبها الكـــبير أنهـــا فلسفية. يعود هذا التباعد إلى سببين أساســـيين. لكنهما أخذا يفقدان أهميتهما حالياً بسبب تطور اللسانيات:

أ – فصنف الفلاسفة التحليليين، المهتمين مباشرة بالوضـــعية الجديـــدة/ Néo-positivisme؛ يشعر بأن بحثه ينتهي إلى نقد للغة. لا ينسجم والموقف الوضعي للسانيين. إلا أن هـــذا الشعور يتأسس على مطابقتها للواقع النحوي لجمـــلة معينة. والتركيب الظاهر للكلمات. إنه يتحدث عن الاختلاف المنطقي بمجرد ما يأخذ نفس التركيب تنظيمات دلالية مختلفة. إلا أن تطور مفهوم التحويل اللغوي، يضع تصـــوراً أكـــثر تجريداً من الواقع النحوي. يذهب أغلب التوليديين إلى أن البنى العميقة للجمل التي تشتمل على:- لا أحـــد – Nobody – و – أحد – Somebody– مختلفة على الرغم من تشابه تنظيمها الظاهر. إن النظر إلى اللغة مـــن حيث عمقها، يبين أن منطقها أقل اختلالاً مما يبدو. بل إن دراسة هذه الاختلافات المنطقية الظاهرة، يمكن أن

تدمـــج في البحث اللساني. إنها تقدم إشارات أو فرضيات تتعلق بالبنى العميقة.

ب – أمـــا صنف الفلاسفة التحليليين المتخصصين في دراسة عقود اللغة، فيعتبرون هذه الدراسة غريبة عن اللســـانيات. بدليـــل أن هذه الأخيرة تتناول ســـنن اللغة/ Code. وليـــس استعمالها في الكلام/ La Parole. والواقع أن بعض اللسانيين الذين يعتمدون على أعمال بنفنست/ E. Benneveniste، يحـــاولون إعـــادة إدماج العلاقات البينية الذاتيـــة التي تتحقق في الكلام وفي اللغة. إذ لا يمكن في نظرهم، وصف اللغة دون أخذ بعض آثار استعمالها بعين الاعتـــبار. مما يجعل اللساني، يتعلم أشياء عدة من فلسفة اللغة الحالية.

* * *